

دولة الفلاسفة

"آراء أهل المدينة الفاضلة" اسم لكتاب من كتب الفارابي يكاد يشتمل على مذهبه الفلسفى كله؛ فى نصفه الأول آراؤه فى الإلهيات التى تجدها مركزة فى كتاب "عيون المسائل" وكذلك آراؤه فى النفس الإنسانية وما لها من قوى مختلفة. وفى نصفه الثانى موجز لمذهبه فى الأخلاق وبسط لتطبيقاته فى السياسة.

ويمتاز الفارابى من بين فلاسفة الإسلام جميعاً بأنه عالج البحث فى السياسة من الناحية الفلسفية الخالصة. فالتفكير السياسى فى نظام الدولة، وتصوير المثل الأعلى للحكم، ووضع المواظين الخلقية والمقاييس السياسية، وتحديد الغاية من الحاكم والمحكوم، ونقد المجتمع الذى يؤدى إلى الشرور والمفاسد. كل هذه من المسائل التى انفرد الفارابى بالبحث فيها والتى تدل على قوة الشخصية واستقلال الرأى.

وقوة الشخصية شرط أساسى للتفكير السياسى؛ لأن الفرد إذا شعر بشخصية له مستقلة عن الدولة، وضع نفسه فى وضع مقابل لها، فبحث فى نظامها وما فيه من خير وشر، وحكم له أو عليه، وحاول أن يرسم منهجاً لنظام الحكم على الوجه الذى يرى فيه خير المجتمع.

و"المدينة الفاضلة" اسم أطلقه الفارابى على المثل الأعلى للحكم، ويريد به المدينة التى تحقق لأعضائها السعادة القصوى فى الدارين.

والسعادة فى نظر الفارابى هى الخير الأسمى المطلوب لذاته، فليس

يفضلها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان. وهي لا تتحقق إلا بالعلم والعمل. ولا يستطيع الإنسان أن يفهم ما هي السعادة إلا إذا عرف ما هي الفضيلة. والفضيلة في ذاتها لا تفهم إلا بدرس النفس الإنسانية وما لها من قوى مختلفة.

ولهذا يبدأ الفارابي بالكلام على النفس فيبين أن لها قوى الغاذية التي تخدم البدن، والحاسة والمتخيلة وهما تخدمان البدن أيضاً القوة الناطقة.

ثم يقسم الفارابي القوة الناطقة إلى عملية ونظرية، ويقول أن النظرية هي التي يتوصل بها إلى السعادة.

وهذه القوى جميعاً تقترن بالقوة النزوعية، فإن الإحساس والتخيل والروية ليست كافية في أن تفعل دون أن يقترن بها تشويق إلى ما أحسه الإنسان أو تخيله أو روى عقله فيه، وأنت بما لك من إرادة تنزع إلى ما أدركت وتشاق إليه. فإذا علمت بقوتك النظرية ما هي السعادة، ونصبتها غاية لك وتشوقت الوصول إليها بالقوة النزوعية، واستتبطت ما ينبغي أن تفعل بالقوة الناطقة أو المروية، وأقبلت على ذلك بمعاونة القوة المتخيلة والحواس ثم فعلت بالآلات القوة النزوعية الأفعال الجميلة، كانت أفعالك كلها خيرات.

أما إذا لم تعلم ما هي السعادة، أو علمتها ولم تجعلها غاية لك، كانت أفعالك كلها أفعالاً غير جميلة.

والسعادة التي يقصدها الفارابي سعادة عقلية لا تتحقق إلا بالفضائل النظرية أي علوم الحكمة التي غايتها معرفة الموجودات، وبالفضائل الفكرية

التي تستبطن الأمور الإرادية، والفضائل الخلقية التي تميز الجميل والقيح من الأفعال.

والفضيلة الخلقية في نظر الفارابي تكتسب كما تكتسب الرذيلة.

والقانون الخلقى من القوانين العامة عند أهل الملة، وحسبك أن تتعرف نفسك لتدرك أن الفضيلة وسط بين نهايتين: فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين الإسراف والبخل، وانحراف الإنسان إلى إحدى النهايتين مرض نفساني يعالج كما تعالج أمراض البدن بتوجيه النفس إلى النهاية المقابلة لها.

وتحقيق هذه الفضائل جميعاً إنما يحقق جانباً من السعادة ولكنها لا تستكمل إلا بالاجتماع. فالإنسان مدني بطبعه أنسى بغيريته، يحتاج إلى الاجتماع والتعاون. ولا يبلغ الكمال إلا بالاجتماع جماعات كثيرة يقوم كل واحد من أفرادها للآخر ببعض ما يحتاج إليه في قوامه.

والكمال الأقصى إنما ينال أولاً بالمدينة إلا بالاجتماع الي هو أنقص منها والمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأنبياء التي تنال السعادة هي المدينة الفاضلة. والأمة التي تتعاون مدنها على ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة.

يقول الفارابي:

"إن المدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه على تميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه.

وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو

واحد رئيس هو القلب، كذلك المدينة أجزاؤها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات وفيها إنسان هو الرئيس " .

ويقسم الفارابي المدينة الفاضلة إلى طبقات أعلاها الرئيس ويتلوه آخرون ينفذون سياسته، ودونهم غيرهم إلى ان ينتهى إلى طبقة لا شأن لها فى المدينة إلا الطاعة وتنفيذ ما يراه من هم فوقها فى المرتبة .

ويضع الفارابي لرئيس المدينة الفاضلة شروطاً فينبغى أن يكون له استعداد فطرى للرياسة، وأن يكون من يتصلون بالعقل الفعال ويتلقون منه الروحى والإلهام عن طريق القوة الناطقة فيكون حكيماً فيلسوفاً، أو عن طريق القوة المتخيلة فيكون نبيا منذراً .

ولرئيس المدينة خصال: هى أن يكون تام الأعضاء، جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ والفطنة، حسن العبارة محباً للعلم، غير شره فى الماكل والمشروب والمنكوح، متجنباً للعب، مبغضاً للذات، محباً للصدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله، كبير النفس، محباً للكرامة، محباً للعدل، مبغضاً للجور والظلم وأهلها، سلس القياد إذ دعى إلى العدل، قوى العزيمة، جسوراً لا يخاف .

هذه هى خصال الرئيس الأول . وليس من السهل أن تجمع هذه الخصال كلها لإنسان، فإنه لا يوجد " من فطر هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس " .

هنا يجيز الفارابي أن يراس المدينة من اجتمعت فيه من مولده وصباه ست شرائط هى: أن يكون حكيماً، حافظاً للشرائع، وأن يكون له جودة

روية، متحريراً صلاح المدينة، وجودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وجودة ثبات يبدنه في مباشرة أعمال الحرب.

"فإذا لم يوجد إنسان اجتمعت فيه هذه الشرائط، ولكن وجد أن اثنان أحدهما حكيم والثاني فيه الشرائط الباقية" كانا رئيسين يكمل كل منهما الآخر.

ولكن ينبغي أن يكون متلائمين، فالالتزام بين الأفاضل شرط من شروط الحكم.

أما إذا اتفق في وقت ما أن لم تكن الحكمة ممثلة في الرياسة فإن المدينة تكون عند ذاك بلا ملك صحيح، ولا يعد من يقوم بالأمر فيها ملكاً على الحقيقة.

هذه هي المدينة الفاضلة في نظر الفارابي.

وهناك مدن تضاد المدينة الفاضلة ويسمىها الفارابي المدن الجاهلية والفاسقة والمتبدلة والضالة.

والمدينة الجاهلية هي التي لم يعرف أهلها السعادة، وإنما عرفوا بعض الخيرات، كسلامة البدن، واليسار، والتمتع باللذات، وأبهة العيش، فحسبوا أن هذه السعادة الحققة وهي ليست إلا سعادات ظاهرية. وهذه المدن على ضروريات الحياة مما به قوام البدن من مأكول ومشروب وملبوس.

ومدينة التبادل: وهي التي يتبادل أهلها التعاون على الثروة وهي غايتهم في الحياة.

ومدينة الخسة: وهى التى قصد أهلها التمتع باللذة من طريق الحس
والخيال مؤثرين أهلها الهزل واللعب.

ومدينة التكريم: وهى الى قصد أهلها وضع نظام يحتم أن يكون كل
فرد من أفرادها مكرماً بين أفراد هذه المدينة أو المدن الأخرى. ومدينة التغلب:
وهى التى قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم، والمدينة الإباحية وهى التى
يريد كل واحد من أهلها أن يكون على هواه.

وهناك مدن أخرى كالمدينة الفاسقة فهى تعرف كل ما تعرفه المدينة
الفاضلة وتعتقد ما تعتقده ولكن أفعالها تكون على عكس أفعال أهل المدينة
الفاضلة وهؤلاء شر من أهل المدن الجاهلية.

والمدينة المبدلة وهى التى كانت آراؤها وأفعالها هى آراء وأفعال أهل
المدينة الفاضلة ولكنها غيرت خططها فتبدلت معرفتها.

والمدينة الضالة: هى التى تعتقد بوجود سعادة أخروية ولكنها مع هذا
تعتقد فى الموجود الأول وفى العقول الثوانى والعقل الفعال اعتقادات فاسدة
غير صحيحة.

بيننا نظرية الفارابى فى المدينة الفاضلة وأنت ترى أن الشرائط التى
وضعها لرئيسها تجعل الملك للفلاسفة، وهو فى هذا يتفق مع رأى أفلاطون
الذى فصله فى كتاب الجمهورية.

على أن الفارابى يخالف أفلاطون فى صفات الرئيس فهو عنده
الفيلسوف الكامل والنبى. وهذا أثر من آثار الدين لا نجاهه عند أفلاطون.

ولقد ذهب الفارابي أيضاً إلى جواز الاشتراك في الرياسة، ولعل هذا
الرأى صدى لما كان موجوداً في عصره. فإن الراضى بالله (٩٣٤ - ٩٤١ م)
هو أول خليفة أنشأ رتبة أمير الأمراء فأضعف بهذا اسلطته وعرض أمور
الخلافة للفتن والدسائس. وكان أول من تقلد هذا المنصب إلى جانبه ابن رائق
التركي.

ثبت المراجع

- إبراهيم أمين أسرة الصولى - مخطوط بمكتبة الجامعة
إبراهيم مذكور النبوة عند الفارابى - مجلة الرسالة سنة ١٩٣٦
ابن أبى أصيبعة عميون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ و ٢
ابن أبى الربيع . شهاب الدين المسالك فى تدبير الممالك . الطبعة
الأولى . مصر
ابن الأثير الكامل فى التاريخ ج ٧ و ٨ ليون .
ابن الأنبارى نزهة الألبا فى طبقات الأدباء . مصر
ابن جنى الخصائص ج ١ . مصر سنة ١٩١٣
ابن حوقل المسالك والممالك - بريل سنة ١٨٧٢
ابن خرداذبة المسالك والممالك - بريل سنة ١٨٨٩
ابن خلدون المقدمة - بيروت سنة ١٩٠٠
ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ و ٢ .
ابن رشد فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .
ابن سينا الأنماط الثلاثة الأخيرة من كتاب الإشارات - ليدن سنة ١٨٩١
كتاب الشفاء . مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٦ حكمة منطق المشركين -
طبع المطبعة السلفية .

النجاة ج ١ و ٢ - طبع مصر

تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات - القسطنطينية سنة ١٢٩٨

ابن نباته شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدن - مصر سنة ١٢٧٨

ابن النديم الفهرست - مصر سنة ١٣٤٨

ابن هشام السيرة النبوية - مصر

أبو المحاسن إشارة التعيين فى تراجم النجاة واللغويين - مخطوط بدار

الكتب رقم ١٦١٢ تاريخ.

إخوان الصفا الرسالة الأولى فى الآراء والديانات

الرسالة السادسة فى ماهية الناموس الإلهى وشرائع النبوة - طبع الهند

الأئصارى إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد - بيروت

البغدادى الفرق بين الفرق - القاهرة

البيهقى، ظهر الدين تاريخ حكماء الإسلام

مخطوط بدار الكتب رقم ٣٧٤١ تاريخ

التهانوى كشف اصطلاحات الفنون ج ١ و ٢ - طبع الهند

الجائليق. أبو الفرج تفسير القاطيغورياس - مخطوط بدار الكتب رثم

٢٤٨ حكمة

جورجى زيدان تاريخ أدب اللغة العربية ج ٢ - مصر

تاريخ التمدن الإسلامى - مصر

حاج خليفة كشف الظنون

حمد الله المستوفى نزهة القلوب

الرازي محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء
والمتكلمين - الطبعة الأولى

سانتلانا تاريخ المذاهب الفلسفية - مصور بمكتبة الجامعة

الشهرزورى نزهة الأرواح وروضة الأفراح - مصور بمكتبة الجامعة

صاعد التعريف بطبقات الأمم - بيروت سنة ١٩٩١

طاشكبرى زادة مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج ١ و ٢

الفارابى مؤلفات الفارابى

القفطى إخبار العلماء بأخبار الحكماء - ليسيك

إنباء الرواة بأنباء النحاة - مخطوط بدار الكتب

القنوجى أبجد العلوم ج ٢ - الهند

محمد فريد وجدى دائرة معارف القرن العشرين ج ٧

محمد متولى يعقوب الكندى فيلسوف العرب، مخطوط بمكتبة الجامعة.

المسعودى التنبيه والإشراف - ليدن ١٨٩٣

مصطفى عبد الرازق باشا الحكم أبو نصر الفارابى (مجلة المجمع العلمى

العربى) مجلد ١٢

- الوحى فى الإسلام مخطوط

المقدسى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - بريل ١٨٨٩

نللينو علم الفلك تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى - روما

١٩١١

ياقوت - معجم البلدان - أوروبا

- معجم الأدباء - أوروبا

يوسف كرم - المعرفة عند أفلاطون - مخطوط

المصادر الأوربية

Aris tote Oeuvres Completes - trad. St. Hilaire.

Barker Greek Political Theory, 1925

Brokelmann Geschichte der Arabischen Litteratur.

Carra d Vaux Avicenne

Les Penseurs de l'Islam

Casiri Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialeusis

De Boer History of Philosophy in Islam

De Sassy, O'Leary Arabic Thought and its place in history.

Farmer, G. The influence of Farabi's Book "Ihsa" al auloum on the
writers on

Music, Jour. Roy. As. So., July 1931

Gilson Les Sources Greco Arabes de l'Augustinisme - Avicennisant,
Arch. d'hist. doct. Du Moyen Age, T. 4.

Horten Des Buch der Ringstein Farabis

Land Recherche sur l'histoire de la Gamme Arabe.

Macdonal Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional The-
ory, 1926

Maimonide Guide des Egres, 1856 - 77

Massigion de Intellectu d,Al Farabi, Arch. d Hist. doct. T. 4.

Munk Melanges de la Philosophie Juive et Arabe, 1859

Plato The Replib.

The Laws

Steinschneider Al Farabi, die Arabischen Philosophen Leben und
Schriften, 1869.